فاصلة

غياب المثقف

قاسم محمد عباس

ما الذي يمكن أن يحدث بعد، كي يتحرك المثقف العراقي أويقول كلمته من المشهد الماساوي لحياة العراقيين ، او حتى التدخل لايقاف نزيف الدم الذي يسيل كل يوم، كلما وقعت مأساة جديدة يتصور المرء ان الغيبوبة التي يعاني منها المثقف العراقي اليوم ستنتهي ازاء جنون القتل الذي يجتاح البلاد. قد يقول البعض ما الذي يمكن أن يفعله المثقف وسط البنادق والانفجارات، أو يقول آخر أننا نجلس في البيوت منتظرين ان تحصل معجزة ما وتوقف سيل الدماء .

العراقيون قبل أحداث السنوات الثلاث الماضية كانوا يحسبون الف حساب للمثقف، فذاكرتهم وتاريخهم قدما لهم صورة عن هذا المثقف بوصفه انسانا رسوليا ساهم في احداث التغييرات والانتفاضات وحتى الثورات ، لذا فهم يتوقعون منه دورا أكبر وتأثيرا أعمق من هذه الغيبوبة التي غرق المثقفون فيها هذه الأيام وبشتى الذرائع والدعاوى .

شخصيا لا اؤمن بدور المثقف الرسولي، لكنني في الوقت ذاته لا استطيع أن افهم في مجمل الأحوال هذا الصمت الذي أريد ان يسجن المثقف فيه نفسه ولا اعني بالمثقف هنا الاديب أو الفنان او المبدع وحسب، وحتى لا اخوض في تعريف المثقف ، اعني تلك القطاعات العريضة من العراقيين الذين يمارسون نشاطا عقليا، سواء كانوا فلاسفة أو ادباء أو رجال دين أو فنانين واكاديميين وغيرهم للخروج من مخابئهم ، وعدم الترويج لثقافة الاختباء التي يكثر الكلام هنا عنها حديثا، فمادام الصمت والاختباء لا يوقفان نزيفا، ولا يعيقان قتل العراقيين، فما الفائدة من هذا الصمت والسجن؟، فمتى كان المثقف سجين ذاته وبيته؟ متى كان يتفرج على مواطنيه يذبحون ويهجرون ويصفون على النحو الذي تشهده ضواحي بغداد وأحياؤها؟، لقد ثبت بطلان هذا الاختباء الذي سجن فيه المثقف العراقي ذاته وعطل في غيابه دورا كبيرا كان من الممكن ان يمارسه في ظل ظرف معقد يعيشه العراقيون. فليتوقف هذا العدد الكبير من المثقفين العراقيين عن الدخول سرا الى النوادي الأدبية لحضور جلسة أدبية ، أو التسلل الى جامعاتهم خلسة خشية أن ترصدهم أعين القتلة ، والبعض الآخر يتمترس وراء جامعة او يتحصن في قرية بعيدة ، والبعض لم يزل يتحدث بمنتهى الجرأة عن الانجازات المعاصرة للرواية.

ربما يعترض معترض بالقول أنك تتحدث عن بطر رومانسي وتحمل المثقف والمبدع فوق ما يحتمل، فهو في الأساس مستهدف من قبل الكل، وهذه حقيقة واقعة ، لكن هل يعني ذلك أن يختنق صوت المثقف على النحو الذي يجري لدينا؟، يمكن للمتابع ان يجزم بان المثقفين العراقيين بكل أجناسهم لم يخرجوا بمظاهرة واحدة منذ سقوط الصنم وإلى الآن، لم يقولوا كلمة واحدة ازاء الزلزال الذي هزّ الحياة في العراق. ولست هنا أدعو إلى ان يتصدى المثقف للارهابيين وان كنت لا ارى في هذا بطرا رومانتيكيا في ظل ما نحياه من ابادة جماعية من الكل ازاء الكل، لكنني في أقل تقدير ادعو المثقف العراقي إلى ان يرفع رأسه من الرمال، ادعوه إلى أن يشغل الارضية التي خصصت له بدلا من ركض (بعضهم) وراء الايفادات، او التذرع بسفرات شهرية هربا من الكهرباء وفقدان الامن، او الرضا بحياة بائسة سرية ينهشها الحزن والتفرج، فقد وصلت الحال مرحلة لا يمكن السكوت عليها، والاتحادات والروابط والجمعيات والنقابات والحلقات التي يشكل المثقفون اغلبيتها مطالبة بفعل شيء ولو بالكلمة، التوجه للمنابر الاعلامية والمساهمة ولو بجزء يسير من اطفاء النار التي ستأكل الاخضر واليابس، ليخرج الادباء والفنانون والمفكرون ورجال الدين على الناس في ندوات تغادر موضوعة الادب والتحليل النقدي وتؤجل قليلا الكلام عن ما بعد الحداثة والمدارس النقدية الجديدة والنص المفتوح، لنؤجل كل تلك الندوات ونتوجه للعمل على اشاعة ثقافة تتطلبها أيامنا الراهنة بما فيها من موت ودمار ورعب، ليظهروا على الشاشات ويتحدثوا عن مخاطر الحرب الاهلية ،عن النهاية التي تريد مشاريع خارجية وداخلية ان تقودنا اليها، ليتحدث رجال الدين للعوام عن حرمة سفك الدم، لنتحدث عن نبذ العنف ، لنصرخ ان حرب الابن وابيه لا رابح فيها ، ليتوجهوا للجامعات بندوات وحوارات مفتوحة تتحدد في البحث عن جذور مشكلاتنا وازماتنا، يواجهوا جمهورهم بصراحة ووضوح ، ليتحدثوا لهم باننا جميعا في مركب واحد وان من يحدث ثقباً في جسد هذا المركب سيغرقنا جميعا ،، لتضيف كل جامعة مفكرا أو فقيها او فنانا، او اديبا ، يواجه الجمهور والطلبة بخطورة المرحلة التي يمر بها البلد، ليقم الادباء والاكاديميون بحملة منظمة لاشاعة روح التسامح وتجاوز الماضي، لندع لحقيقة اننا جميعا عراقيون نحيا فوق ارض واحدة مهما اختلفنا ثقافيا ومذهبيا وقوميا ، ولا خيار لنا الا العيش سويا ،، ومهما اخترقتنا مسافة الفرقة ، لنحاول فقط ان نشعر قطاعات المجتمع بان المثقفين يعيشون أزمة عراقهم ، ويتقطعون حزنا لمشهد الاجساد المتناثرة ، ليصرخ المثقف صرخة حتى وان كانت مخنوقة فلربما يسمعها البعض، ويفكر فيها.

لو لم يكن المثقفون جزءا من المشكلة ليخرجوا على الناس بكلمة موحدة تؤجل كل خلاف واعتراض، مادامت الفرصة سانحة، ليقولوا ببساطة كلمتهم ما دام هناك وقت لقول بضع كلمات، فالناس تائهون بين ضجيج اطراف الصراع، والناس مرعوبون من المجهول الذي ترسمه تصريحات المسؤولين، ليشجعوا سكان المنطقة الخضراء على الخروج على الرغم من المخاطر، ليعبدوا لهم سبل الخروج ما داموا خائفين من ترك حصونهم هناك، ليجبروهم على الخروج للناس ، فليخرج المثقف أولا بصوت آخر غير صوت السياسيين، وسنجبر سكان المنطقة الخضراء على الاختلاط بالناس ، ليتعرفوا على المسافة التي تفصل بين تصوراتهم عن الواقع والواقع ذاته ، ليخرج المثقف اولا من غيبته، ويطمئن جمهوره ان هنالك بصيصا من الامل يشير اليه المثقفون، لان ايمانهم بالناس والحياة مجرد من غايات السياسيين، ليقولوا كلمتهم قبل فوات الاوان .

القصة البوليسية العربية
غالبيتها صدى للأعمال الغربية

شاكر الأنباري

قبل اكثر من عشر سنوات، كنت اتجول في احدى مكتبات كوبنهاغن، متطلعا الى عناوين الكتب الجديدة الصادرة عن دور النشر الدانماركية والأوربية، فوقع بصري على الأعمال الكاملة للكاتب الأميركي (ري برادبري)، مطبوعة في دار بنغوين. وكان هذا الاسم راسخا في ذاكرتي. لم اكن قرأت لهذا الكاتب الذي يعتبر من مبدعي الخيال العلمي، وبعض رواياته حولت الى افلام سينمائية، لكن اسمه ورد في مقدمة لمجموعة قصص عنوانها (في درجة ٤٥ مئوي)، للقاص العراقي محمد خضير. في تلك المقدمة كان محمد خضير يحكي عن ظروف الكتابة، والجو الابداعي، والتقاط ما هو ملائم للنص، وأورد مقتطفا غريبا من احدى قصص ري برادبري، وهو يروي عن فرن عملاق يجره عدد من العمال بين البيوت، لكي يلقي الناس فيه كل ما لديهم من كتب. لم ادرك وقتها لم يحرق الناس الكتب، وربما كان السبب قرارا لديكتاتور يحرم القراءة، ويحارب الأفكار. ورغم ذلك فللحدث بعد ترميزي مكتنز بالدلالات. ومجموعة محمد خضير تلك، وكما اتذكرها اليوم بشحوب، تمتلك في بعض جوانبها شيئا من الروح البوليسية، خاصة قصة (تاج لطيبوشة)، وهي عن فتاة بدوية خرجت من مضارب أهلها وتاهت في البرية، وقد امضها الجوع فأكلت نبتة زاهية، ماتت اثرها مسمومة وغطتها كثبان الرمال، بعد ان رحل البدو في الأفق المرمل البعيد. حين قرأت قصص ري برادبري بالانكليزية حاولت تتبع (تأثيرات ما) على قصص محمد خضير، لكن دون أن أوفق، اذ ان نمط الكتابة البوليسية لدى الكتاب الأوربيين هو نمط مختلف، وله قواعد وأصول وبنى سردية محددة. القصص العربية التي تحمل (روحا) بوليسية لا يمكن تصنيفها على انها كذلك. تظل القصص والروايات العربية محملة بروح ادبية وفنية تقتل القص البوليسي، باعتباره نصا متوترا ويمضي الى حل (اللغز) دون عثرات. وهذا واضح في عدد من القصص العربية والعراقية مثل قصة (رؤيا البرج) لمحمد خضير على سبيل المثال. قصة رؤيا البرج يمكن تصنيفها بأنها من قصص الفانتازيا او الفوق واقعية، يمتزج فيها الوصف والتحليل النفسي والاعتناء باللغة والترميز المحتمل لقراءات متعددة. قصص جيل الستينيات في العراق عزفت على الفانتازيا، وعشقت الكافكوية، وكادت تقترب من مفهوم القصة البوليسية. وتذكر هنا قصص جليل القيسي ومحمود جنداري.

ساراماغو

امبرتو ايكو

كذلك الأمر مع رواية غربية مثل رواية (اسم الوردة) لامبرتو ايكو. انها تمتلك (ايقاعات) بوليسية لكنها رواية غير بوليسية، ولا هي رواية خيال علمي، رغم وجود (لغز) يتمثل بالبحث عن كتاب، وغموض الموت الذي يحصل في مكتبة الدير، وقدرة المحقق على التقاط الآثار التي قادته الى سر الموت. فشخوص هذه الرواية تتحرك ضمن رؤية فردية تجاه الأحداث، ووفق فلسفة عميقة تتداخل فيها قوة الملاحظة مع البحث عن اثر ما في التفاصيل الصغيرة.

المفارقة ان بنية القصة او الرواية البوليسية، تركز، وتهتم بالتفاصيل، فهي ما يحل عقدة الحدث، عكس ما ينقص معظم الروايات العربية، أي انها مشغولة بسعيها، منذ البداية وحتى النهاية، في ملاحقة العموميات.

من هنا فثمة روايات غرائبية الا انها ليست بوليسية، وتحضر هنا رواية ابطال وقبور لارنستو ساباتو، والمسخ لكافكا واسم الوردة لايكو، وثلاثية نيويورك، وبعض من روايات ساراماغو، دون نسيان البرازيلي الفذ لوي بورخس، فضلا عن عشرات من الروايات العالمية.

وعلى الصعيد العربي هناك روايات الموريتاني موسى ولد ابنو(الحب المستحيل)، رغم انها تندرج ضمن الخيال العلمي، بطريقة ما، وأعمال اللبناني رشيد الضعيف الذي يقترب من نمط الروايات البوليسية، من حيث وجود (لغز) يسعى شخص ما لمعرفته، وتجسد ذلك بوضوح في روايته (ليرننك انغلش)، و(من يتذكر ميريل ستريب). ورشيد الضعيف يتكئ على التحليل النفسي لشخصياته، وعلى استبطان دواخل بشرية تتحرك في محيط المدينة، اكثر مما يتكئ على حركة الأحداث المتواترة، والحوارات الكاشفة عن المضمر.

وعودة الى الكاتب الاميركي ري برادبري، فقد قرأت مختاراته بشغف، وكانت في جزءين. أطللت على كتابة غير مألوفة في ادبنا العربي، تلك هي الخيال العلمي. برع هذا الكاتب في نسج روايات وقصص تدور خارج الأرض، في الكواكب والمجرات، وفيها وصف للمركبات الفضائية والصواريخ العابرة للفضاء والمخلوقات الكونية التي ابتكرها بخيال لا حدود له.

ترجمت مجموعة من قصصه سميتها (عربة توينبي) وصدرت عن دار المدى عام ١٩٩٦، مع مقدمة صغيرة تعريفا بالمؤلف. غموض الفضاء واسراره المستعصية على العقل البشري، رغم بلوغه درجة من النضج والتطور لا يستهان بهما، هيأ لبرادبري مادة غنية يجرب عليها خياله الفذ. كتب عن الشمس وحرارتها، عن مارس المتوهج بالحمرة في ليالي الأرض، عن ساتورن ذي الدوائر المتحجرة الشبيهة بعيون كونية ترقب المجهول، عن المجرات البعيدة التي استخدم في السفر اليها، ورواية ما يدور فيها من احداث، خياله البشري وحده، مستندا إلى معرفة واسعة بالرحلات الفضائية والدراسات العلمية والفرضيات التي يتفتق عنها ذهن الباحثين الفضائيين. ونحن في الثقافة العربية لا نمتلك هكذا خلفية تؤهل الكتاب للمغامرات الذهنية، والخيال العلمي. ثمة جهل فضائي هائل حتى لدى الكتاب والمفكرين والعلماء.

والقصص البوليسية هي مغامرات عقلية قبل كل شيء.

مغامرات خيال حر لفرد حر، لا يعيش حالة قطيعية، سواء كان كاتبا او قارئا.

عندها، قمت بترجمة مجموعة أوسع من قصص برادبري لصالح وزارة الثقافة السورية(عام ٢٠٠٣)، وهي لم تر النور حتى هذه اللحظة. عانيت من صعوبات كبيرة في الترجمة، اذ كانت هناك لغة علمية غير مألوفة للغة العربية، وبالحقيقة غير موجودة بسبب كوننا مجتمعات متخلفة تكنولوجيا، والعربية لم تستطع مواكبة الاكتشافات الهائلة سواء في العلوم او المفاهيم الفلسفية والاجتماعية.

القصص كانت ذات لغة محددة ودقيقة، وهي رغم ادبيتها النسبية، الا انها تقتصد كثيرا في الوصف والتحليل الطويل للأحداث والانفعالات، بينما لا يفقه القارئ العربي العادي تلك اللغة المحسوبة بدقة، والمحددة المفاهيم والتسميات.

طبعا على من يكتب في الخيال العلمي ان يلم بتفاصيل المكوكات الفضائية والكواكب والتقنيات الذرية والفيزياء الكونية. اما من يخوض في خلق نص بوليسي، فينبغي في الأقل ان يتعلم فنون التحقيق وقراءة الآثار والطب الجنائي، وشيء من اصول القوانين والدوافع الجرمية، مع خبرة عميقة بالنوازع البشرية. هذا ما يجده القارئ في اعمال جورج سيمنون، وأجاثا كرستي وعظيموف وري برادبري وغيرهم. فالحدث هو ما يحرك اللغة، واللغة تصف الحدث فقط ولا تستطيل في شرحه وتسويغه ورسم دلالاته النفسية او الروحية. لذلك يمكن القول ان الروايات العربية والقصص ذات (الروح) البوليسية لا يمكن تسميتها بأدب بوليسي او خيال علمي، كونها تمتلئ احيانا بالتحليل والسرد الانشائي وبلاغة اللغة العربية، تفتقر لما يمكن تسميته بـ (المعرفة)، أي انها ادب لمجتمع غير تكنولوجي.

الروح العلمية هاربة، وثمة وفرة للخرافة واللا يقينية واللاتحديد.

ومع وجود قارئ معتاد على البلاغة والاسهاب والقدرية والثقافة القطيعية، يصعب ابتكار لغة بوليسية في الكتابة، كما يصعب ابتكار جو بوليسي خاصة في فضاء مجتمع مغلق كالمجتمع الشرقي عموما. فأغرب القصص البوليسية تدور في الحقيقة وسط اروقة السلطات العربية، وفي اجهزة الأمن والمخابرات والتنظيمات الميليشياوية وعصابات القتل والتزوير والمخدرات. وهذه حقول لم تتناولها سوى روايات عربية ضئيلة العدد. يمكن ذكر بعض روايات الكاتب السوري فواز حداد، والعراقي زهير الجزائري(الخائف والمخيف) وفاضل العزاوي(الأسلاف). حتى نثار القصص والروايات التي حاولت ان تكون بوليسية جاءت صدى للكتابة الغربية، وسيناريوهات الأفلام القادمة عبر السيديهات والسينمات والشاشات الفضائية، ولم تنبع من حاجة حقيقية لمجتمع عربي.

واللافت هنا ان الواقع العربي يغص بغرائب القصص، بعضها يقترب من اللامعقول، ويصنعها ناس عاديون يمتلكون ذهنيات شيطانية، لكن ذلك الواقع لم يصبح مادة لنص ذي هوية واضحة.

ظل البطل المثقف هو محور اغلب الروايات والقصص.

وكما هو معروف، فمجتمعاتنا تفتقر ايضا، للشفافية في عرض الجرائم والمؤامرات والمحاكمات الجنائية وفنون التزوير والتهريب، ويشكّل (الأنا الأعلى)، حسب التعبير الفرويدي، قشرة ضاغطة على أي خيال مجنح، وهو، حصرا، عماد الحبكة البوليسية.

مِعدانُك يا الله

منى كريم

لم تفكر ذات يوم بأن تخلق الموت، لم تستطع مخيلتك أن تفكر برئتين له أو بأقدام تنمو في النهر، تبكي على صدر العشب، برأس يحمل قلعة من الهموم .

لم يكن الموت حين خلقته في النسخة الأولى يرتدي ثوباً أسود، يمشي مطأطئاً رأسه فالسماء أصغر من أن يراها.

لم يكن طفلك العاق يعلق روحه على شكل قماشة خضراء فوق الضريح، لم يكن يخلق أطفاله من طين تورم بالحزن، لم يعمدهم بدموع كثيرة.

لم يكن الموت رجلاً أنحل من ظله يلتحف مشحوفه علّه يصل إلى السماء. لم يكن يعري نفسه أمام المياه ليعاشر سمكة.

لم يكن الموت نخلة عجوزاً، لا مطر يصبغ شعرها، و لا شاب يلملمها بنظراته. لم يكن ينتفض غاضباً حين يسقط عقاله من على رأسه.

لم يلصق الموت جسده بعمود إنارة أمام شباك حبيبته، لم يتحول إلى إسفنجة تمتص الألم حين يرى عشقه يرحل في درب من الخيام الهشة.

لم يعرف الموت أن يدخن روحه في سيجارة أمام مشهد الغروب، يراكَ تنام تاركاً معدانك، تنهش قلوبهم أسراب النمل.

لم يعرف كيف يرمي جسده بين أوتار حنجرة "داخل حسن"، تتقاذفه المواويل، تاركة كدمات على جسده -هي فتات إبتسامة لما تبقى من عمره- .

لم يعرف الموت أن يشارك الحنطة طفولتها، يسلخ جلده تشبهاً بها. لم يعرف أن يلم قبيلة في "هدم" أسود. لم يعرف كيف يصبح صدره مخدة لأطفاله وحبيبته.

لم يعرف الموت أن يمشي في وطن، تضيء عباءات النساء نهاره، و من حطب دشاديش رجاله يتدفأ الليل.

لم يعرف الموت أن يحبَ الحزن، أن يقسم بالبقاء معه في الشدة والفرح، في المرض و الصحة، في الشباب و الشيخوخة، في الفقر و الغنى.

لم يعرف الموت أن يتمشى في ممرات ضيقة، تسرق الأشباح سنينه القليلة من جيوبه المثقوبة.

لم يعرف الموت أن ثلاثة نجوم تكفي حباً وقوتاً وعمراً.

لم يعرف الموت أن الأعياد إجازات من النحيب.

لم يعرف أن يحفظ في روحه ملايين من القتلى، روائح أشخاص زرع أنفه في أعناقهم، سعال عجائز، وبيوتاً لا تهرم.

نحن معدانك يا الله ، من طيننا خلقت الموت ..

❖معدانك يا الله= موازية لـ "أكرادك يا الله"..

للرائع سليم بركات.

❖ داخل حسن: ومن لا يعرفه؟ مطرب الريف العراقي، من مدينة الناصرية- جنوب العراق.

❖ هدم = عباءة ثقيلة من الصوف.

عراقيّ

نامق سلطان

تدور الحكاية
كالريح
مرة تستفز الرمال
وأخرى تفتش عن وردة
كي تلم شذاها
وتنثره بيننا
ثم تمضي
لكي تستريح.
تدور الحكاية
ما بين شرق و غرب
وبحر و أرض
وتدفعني مرة للمكوث هنا
وأخرى لأرحل نحو القفار البعيدة
مقتنعا بالقليل من الزاد
وحلم المعاد
ولا شيء...
لا شيء غير يقين قديم تهرأ
حتى استحال رمادا
وما زلت أحمله فوق ظهري
أطوف به في البلاد الغريبة
ليس أهلي بعمان
ليس أهلي ببيروت
ليس أهلي ببرلين
ولا في استراليا
ولا في الحجاز
ولا في دمشق
ولا في طرابلس
أهلي هناك
ما بين نهرين
لو بحار تشفت بمائهما
لرقت
وطابت
هم أول الخلق
وآخر ما يتبقى على الأرض
أعراسهم كرنفال
مآتمهم كرنفال
يموتون في الحب
أكثر مما يموتون في الحرب
ثم ينبعثون أغاني لا تنتهي
و مواويل حزن عميق
أهلي كزهر الربيع
عرب
وكرد
وتركمان
ومن كل جنس
ومن كل دين
وصحبي هناك
ينامون شعرا
ويصحون شعرا
فكيف أبدل سوق السراي
بأسواق باريس
ومن أين آتي برائحة الطين
ودفء المقاهي
وضحكة أمي
وأمطار آذار
وصحبي الذين يغنون
ليل نهار
فلا
لا وربك
لا لن أبيع بلادي
ولو ظلمتني
ولا
لن أبدل ذاكر

متابعات

جامعة البصرة تستعد لاقامة ملتقى السياب الثاني

عبد الحسين الغراوي
البصرة

بدأت جامعة البصرة استعدادتها لاقامة ملتقى السياب الثاني ، وقال السيد عبد المحسن عبد الحسين المسؤول في قسم الاعلام في الجامعة : ان الهيئة التحضيرية العليا بدأت أولى اجتماعاتها برئاسة الدكتور علي عباس علوان رئيس جامعة البصرة، بدراسة نشاطات الملتقى، والمقترحات المقدمة لبرنامجه، ونوقشت مجمل التفاصيل التي من شأنها انجاح هذا النشاط الثقافي ، الذي يطمح لتحقيق مشاركة واسعة من مبدعي العراق الذين تنوي الجامعة دعوتهم لهذا الملتقى.

وأضاف ان الهيئة التحضيرية للمتقى تحرص على انجاح الملتقى الذي سيقام بعد أشهر، وأشار المسؤول في قسم اعلام الجامعة ان الهيئة التحضيرية بصدد مناقشة المحاور التي ستطرح في الملتقى، منها ما يتعلق بالمحاور الابداعية والفكرية، لدعم الحركة الثقافية عبر الجامعة بما تتضمن من امكانات ثقافية ومعرفية، وقبل ذلك كله فإن الجامعة تفتح أبوابها لكل المبدعين والمثقفين.

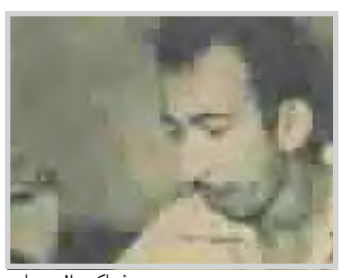
بدر شاكر السياب